

# فراغات المد الماضي من «الأدب»

## الأبحاث

بقلم : صلاح عيسى

بحيويتها اذ هي فقط سبب لخلق تجربة انسانية تسمو على مستوى التسجيل كاحدى لوحات الطيممة الصامته » .

والفنان يثبت نفسه ويؤكد ذاته حيث هو فنان اولا . وليس مجرد انه داعية لقضية كبرى . فالفن يعيش لان مبدعه قد اتبع له الحظ فعاش في ظرف تاريخي محدد ، او محتوى ظاهرة هامة للجميع فارتبط بها . ذلك « ان العبقرية لا تنهني الا لدى ذوي العقول الخاوية » ، والوطن الذي يخوض معركة بحر ، لا يلهم العقول الخاوية شيئا ذا بال ، لكنه يلهم الفنان الاصيل ، « المعركة » « لا تخلق » هذا الفنان لكنها « تكتشفه » .

فاذا ما انتقل الباحث لمناقشة (مقاييس الحكم على الجيد والسيء) افر ان « الاعمال الادبية لا يحددها القياس كما يحدث في العلم » ولذلك فان « الاحكام النقدية تبقى خاضعة لذوق الناقد والقارئ معا » والسائلة عند الاستاذ شكري « استفتاء شعبي » القارئ ضد الكاتب او مع الكاتب ضد الناقد . وبرغم ذلك فان رأي القارئ قد تتحكم فيه عوامل غير فنية « كالذين يجدون متعتهم الكبرى في قراءة الكتب التي تحقق لهم احلام الهروب من الحقيقة المؤلمة » . وكذلك رأي الناقد « الذي قد يتحول الى آلة اليكترونية تخضع كل الاعمال الادبية لمنهاج واحد ، وايدولوجية معينة » ثم هو ايضا يسعى لكسب جهوده .

ما الذي يستطيع ان يقدمه الادب الجديد وسط كل هذا ؟ . هناك مشاكل محيرة . « ما هو نوع اللائم للعصر ؟ » . اكثر الكتاب الجدد يمارسون عدة اجناس ادبية في وقت واحد قبل ان يتقروا . وهم يعيشون بالفعل في عصر مختلف و « تحت رحمة الازمنة المقبلة و « الهدم الذي يهدمهم به غزو الحضارة الآلية يتجاوز بعث القلق في ديمومة الخلود الى المطلق » . والظواهر الادبية الغربية التي نعيشها اليوم هي « رفسة للحضارة الكلاسيكية والرومانسية » لكن « حراس التراث يعتبرون هذه الفوضوية احدى الفترات المراهقة التي تمهد لظهور حضارة جديدة تمتد عبرها عودة الحضارات المنسية » . وهي في الحقيقة حكم ب « ان التراث القديم لم يطعم نفسه بما فيه الكفاية ضد غزو الوباء الفكري الجديد » . وفي نفس الوقت فهي دعوة لنا للحد لان « نفس الكارثة تنتظر عصرنا البساكاديليكسي مع الانسان الاليكتروني » .

وملامح العصر واضحة « لغة المنفى في الوطن ، الغربة وسط الزحام ، اسماء الرؤساء المكتوبة بالبراز على الجدران ، اختطاف الطائرات ، اشعار الشباب المكتوبة بزيت المحركات المحروق ، الهية والرسوم المرسومة بذيل حمار .. هي طابع عصرنا المتهم » . والعصر يموج بتيارات متعددة . بيد ان هناك في النهاية موقفين متميزين من كل ما يجر فيه . اولهما « موقف الرومانسي » والآخر « موقف الثوري » ان الرومانسي الذي يطرح لان يكون محور العالم « يشور ضد الموت كفكرة ، كشقاء بشري ، ولكن ليس من اجل تغيير حدثه » لكن الثوري « يكشف لنا عن الانسان المناضل الذي لا يموت كما تموت الحيوانات في المذبح » وما زال هذا الوباء ينخر في روح بعض الكتاب . ان الرومانسية لم تهزم بعد . الرومانسي متفرج « شاهد فقط على عصر الاستشهاد » لكن « الثوري يحمل معه شيابه السي المركبة : فكرا وعملا » . الاول يعانق موته في استسلام أسفا او غير أسفا لانه لا يستطيع ان يجعل حتى حبه ثوريا . « مأساة الرومانسي انه يخاف الموت لكنه يسعى اليه بشكل ما بلا هدف . اما الثوري « فيجعل من موته هدف حياة الآخرين »

يتضمن عدد جزيران من الآداب ، بحثين طويلين ، وملخصا وافيا ل « حوارسوفييتي عربي حول الادب وافكار العصر والعلاقات الثقافية » . الابحاث اذن قليلة مما يتيح الفرصة لعرض لما تتضمنه ومناقشته لما تحتويه .

وبالرغم من فلة عدد الابحاث ، فان واحدا منها يطول ليصل الى احدى عشرة صفحة من البنط الصغير . ذلك هو بحث الاستاذ محمد شكري « مفهوم التجربة الادبية » . ولعل هذا البحث هو اكثر الابحاث الثلاثة مدعاة للتأمل والمراجعة . وهو يضطر لقراءته اكثر من مرة ، لا لمتعة - ولو انه لا يخلو من المتعة - ولكن لتشابكه ونعقده وكثرة ما به من انكار . وللأسلوب الخاص انذني اختاره كاتبه ، وهو أسلوب كثيف ، يوحي بالعمق ، ولكنه يضر بالعرض .

والبحث - بعيدا عما به من استطرادات مرهقة واستشهادات لا داعي لها - يعرض لفكرة هامة جدية بالنافسة ، هي « العلاقة بين الاجيال الادبية » او « الموقف من التراث » . وذلك من خلال التفسير المستمر والحتمي في مفهوم التجربة الادبية بين « السلف » و « الخلف » او ( بين الجديد والقديم ) . وعند الاستاذ شكري فانه « من سوء حظ الانسانية انها تحافظ على اعمالها الفكرية كما يحافظ الاطفال على حطام لعبهم حتى بعد ان يثوروا على نوع التسلية التي تقدمها لهم . لتبرير هذا الافشاء الفكري اخترعنا له صيفا لفظية تحرسه من النسيان واللف : التراث . الحرية الفكرية ، المقدسات .. الخ » . وهو ما يدعو للانزعاج ، ذلك ان « بعضهم ما يزال يضاجع رميم هذا التراث في الخيال وفي الواقع » .

ولا يمكن ان نعتبر شهرة بعض الاعمال او بقاءها ، نموذجا للمقاييس الجمالية الحققة والكاملة . ان عملا ما قد يعيش لان كاتبه « ادھشنا بتصوراته الفكرية أكثر مما افنعنا نقتيا » او « لانه كاتب موسوعي لا يفهمه الا المخصوصون في اللغات الحية والميتة وجنون الابداع » . وبالنسبة للاجيال الجديدة من الابداء والفنانين فان المشكلة ليست هي مشكلة الموضوع « الذي قد يكون جاهزا تماما في اذهانهم » ولكن المشكلة او الصعوبة هي « ايجاد الشكل اللائم لهذا الموضوع الهام » ذلك ان « التقنية هي التي تقيم الموضوع الادبي او الفني » .

وللاستاذ شكري رؤيته الخاصة للمقاييس النقدية .. فهو يرى ان الاعتماد على « التقييم الادبي » لا يسلم دائما من المحاذير . كثيرا ما يخطئ التقييم الادبي في البداية . وقد يصحح النقد احكامه بعد ذلك ، ولكن ماخرا بعض الشيء . ان تحديد العمق ليس رهينا بالتقييم الادبي . وانما « بمعاينة التجربة الذهنية والواقعية . وصبر التنقيح ومغامرة البحث عن اشكال جديدة » . ومعاينة التجربة الواقعية ، تعني « الارتباط بالديمومة الانسانية وهو ما يفعله الفنان الخلاق » اما الفنان الرحلي فهو « الذي ينهني بانتهاء الزمان الحضاري في عصر ما » . مطالبا دائما ب « عدم الاخلال بتوازن الكليات والجزئيات في عمه الادبي » . ولكن الواقعيين « الماخوذيين بالتفاصيل » ينسون اننا « لا نكتب لانتقاط صورة واضحة كاملة طبق الاصل لهذا العالم » . اذ انه « ليس هناك تطابق بين الشسبي وادراكه » ونحن « قادرون على استيعاب تجربة ما بعينها وتجسيمها

ما هو موقف الجيل الجديد من كل هذا ؟

« ان موقف هذا الجيل من التراث ، يتضمن المجاهرة للتخلص من آثار هذا التراث ، لانه « مفرد في الحساسية الجمالية ، الحسية والاخلاقية » مما اورث الجيل الجديد « كل مساوى الافكار التي لن يشفى منها بسهولة » . وهذا يتطلب من هذا الجيل ان يفهم تأثير الموروث الحضاري فيه وان يستمر في « الانسلاخ الذي بدأه حتى ولو كان سيقوده الى العدم » .

ومن المحتم على الجيل لا ان يغير الشكل والمضمون فحسب ولكن ايضا الحجم . لان العصر يفرض هذا اذ لم يعد لدى احد الطاقة لقراءة المطولات . « ان طبيعة التطور تجرفنا الى التنازل والتلاشي في كل شيء طبيعتنا البشرية ، لفتنا ، مصرنا » . وهذا الجيل ايضا مطالب لا « بكشف الاشياء وتسميتها » وانما ايضا « بالحكم عليها » . وهو ما لا يمكن التصدي له دون فهمها .

في الجزء الاخير من بحثه يطرح محمد شكري موضوعه بوضوح اكثر . فيؤكد ان « محنة الكاتب العربي اليوم هي انه مطالب بتطوير تقنيته وموضوعه اكثر من اي وقت سابق . انه مزاحم من الكتاب الفريدين في الاصل وفي الترجمة التي تخطت مرحلة الاقتباس والتشويه » . وبالطبع فان هذا يتضمن شن الصراع ضد القديم « الجيل الذي نار على الكتاب والشعراء القدماء هو نفسه الذي صار اليوم من اشد المحافظين ازاء مواهب جيل الاشتراكية الماركسية بل ان هذا الانفصال احيانا يحدث حتى في بعض افراد الجيل الذي لم يتخط بعد سن الرشد الادبي » . والاستاذ شكري بعد هذا يصوغ موقف الاديب العام بانه محكوم عليه بان « يكون طبقياً ضدياً : ان يعطف على البروليتاريا اذا كان برجوازيًا وان يسمو بطبقته الى البرجوازية ان كان بروليتاريًا » . اذ ان « المطلوب هي الرفاهية التي ينبغي ان تكون طبيعية . المطلوب هو التساوي في الرفاهية وليس في الفقر » . والملاحظة العامة على بحث الاستاذ شكري ، انه محاولة لصياغة مانفستو ادبي . لكنها محاولة تنكبت سبيلها ، فاصبحت غير مفهومة . اذ سادتها رغبة شريفة في الاستعراض ، ولو احصينا عدد الاعلام الذين ذكروهم او استشهد بهم على تأكيد افكار ، قد تكون صحيحة لكن لا جديد فيها - لوجدنا عددهم كثيرا جدا ، مما يعث على الدهشة الشديدة ، لهذا الحرص الفتعل على ذكر الاسماء والاعمال ، واقتطاف جملة من هنا وكلمة من هنا لتأكيد اشياء قد لا تكون هناك حاجة على الاطلاق لتأكيدها ، او قد يكون تأكيدها ممكنا بوسائل اخرى . لقد ارهق الاستاذ شكري القراء ، وعسر فهمه ، واظن ان محاولتي لتلخيص بعض افكاره ، لم تخل من التشوش ، اذ لا يستطيع ان ازمع انني فهمت هذا البحث العميق ، ولعل المسألة قصور في ثقافتني .

بيد انني اود ان اقف عند الجزء الاخير من العرض الذي قدمته لافكار الكاتب ، ذلك الذي يدعو فيه الاديب ان يأخذ موقفاً ضدياً « ان يعطف على البروليتاريا اذا كان برجوازيًا وان يسمو بطبقته الى البرجوازية ان كان بروليتاريًا » . وهي دعوة مضحكة بالفعل ، لا ادري كيف يريد ان تتحقق عمليا . خاصة وان الاستاذ يسود فيؤكد ان « المطلوب هو التساوي في الرفاهية وليس في الفقر » . هل طالب احد بالتساوي في الفقر ؟ ! من المؤسف حقا ان تكون نهاية هذا الراهق في متابعة البحث ، هو الاصطدام بافكار لا اظن ان الاستاذ شكري وهو ما هو عليه من ثقافة ( تشهد بها معرفته الواسعة بكل هؤلاء الاعلام ) ، يجهل انها غير واردة على الاطلاق وانها فاقدة لاي معنى حقيقي ! .

انسان يونسكو الشقي - يوسف عبدالمسيح ثروة

ويحاول الاستاذ يوسف عبدالمسيح ثروة ان يستعرض رؤية يونسكو للانسان . متابعاً ذلك بدقة في مجموعة من اعماله المسرحية . فيرى ان جوهر هذا الانسان هو « اقتفاده لكل القيم العزیزة عليه » وانعكاس هذا الفقدان « في وجدان انسان العصر وفي جميع فعالياته النفسية والفكرية ، في مسيرة حياته وفراغ هذه السيرة من دوافع التقدم » . وانسان يونسكو الذي يعاني من القلق ويعيش في جو

من الرعب لا اول له ولا آخر ، هو انسان ثابت على هذه الحالة « لان يونسكو لا يستطيع ولن يستطيع - على حسب منطقته ونعاليمه - ان يؤمن يوماً ما بوجود جاذبية حية على مثل هذه الارض ، تنعش وتحيي وتبعث الحركة في هذا الوجود ، ليكون للانسان ما يستحق التثبيث به من معان وقيم . . ومثل » . وهذا ما ينتهي بان اي محاولة للبحث عن خلل في العالم هي محاولة فاشلة لان الذي سيفعل ذلك « لن ينتهي الا الى ما هو عبث حتماً » ذلك ان « الخلل الكامن في اساس الكيان خلل ابدى لا مفر منه . و « الا كان الكيان غير هذا الكيان . . وكان العالم عالماً آخر » .

هذا هو جوهر انسان يونسكو كما عرضه الاستاذ « يوسف عبدالمسيح ثروة » . وهو يطبق هذا الجوهر في بعض اعمال يونسكو . . ليصل الى تقديم تصور فلسفي لعالم يونسكو . ويعتمد في ذلك على اشارات لمارتن ايسلن ، فيونسكو الذي يفضح عالماً باللائمة ، ينطلق من خلفية فلسفية . فهو ينتقل من ببناء العدمية متماسلاً الاشياء تأملاً معكوساً يبلغ به من الحدة ان يفكر في « وجود نفسه وصعوبة تحديد هذا الوجود » انه يقول مثلاً « انا موجود . . ولكن ما هذه الانا . . ان هذا شيء يصعب تحديده » . وهو يرفض « كل الاسباب والمسببات » اي انه يبتذ العلية بصورة مطلقة . ويدعو للشك في كل شيء ومناقشته . ويفترض الاستاذ يوسف اعتماداً على هذا ان هناك « صلة ما بين فلسفة يونسكو وفلسفة سارتر » ، وهو ما يؤديه « تحليل حالات الشعور في مسرح يونسكو » . وهذا جميعه يدفع الاستاذ الباحث الى القول ان « هذه المفاهيم مفاهيم وجودية صرفة ، ولو لم يختزلها يونسكو هذه التسمية » .

والافتراض الذي وصل اليه الباحث ، لا يجبان يمر هكسدا بسهولة . وليس هنا مجال مناقشته ولكن مناقشة المنهج الذي اعتمد عليه لتقديمه لنا . ومن المؤكد ان الفكرة قد عرضت بطريقة غير مقنعة على الاطلاق . وانه لم يعد يهتم كثيراً بتأصيلها كفكرة ، على الرغم من ان وسائل ذلك كانت متاحة في يديه ، فالوجوديون ينشرون فلسفتهم في اعمال ادبية ، ومسرحية بالتحديد ، ويونسكو كاتب مسرحي ، لكن الباحث لم يعن بان يعرض فكرته من خلال المقارنة الطبيعية بين انسان يونسكو الشقي ، وانسان سارتر ، مثلاً . . واكتفى بان القى بالفكرة - رغم اهميتها - في جوهنا وهضى .

حوار - عربي - سوفيتي . .

ولعل الحوار العربي السوفيتي ، هو ابعد ابحتات العدد عن التعقيد ، الذي بلغ ذروته في بحث الاستاذ شكري ، وتجنيه الاستاذ يوسف بصعوبة بالغة . وهو في نفس الوقت مواجهة - غير مقصودة - للكثير مما ورد في البحثين الآخرين .

ويتميز العرض الذي قدمته الآداب بالقدرة على التلخيص والتركيز ، بحيث يمكن القول بانه قدم بالفعل نموذجاً للقضايا الرئيسية التي يمكن ان يدور عليها مثل هذا اللقاء الهام ، وبعض هذه القضايا له اهميته القصوى ، وبعضها مسائل اجرائية تتعلق بتنظيم العلاقة بين الكتاب العرب والسوفييت وهذه تخرج عن نطاق المناقشة .

وقد انقسم الحديث في هذه الندوة الى ثلاثة موضوعات رئيسية . اولها : ملامح عن الادب السوفيتي وقد تحدث فيه انا تولى سافرونوف وثانيها ملامح عن الادب والثقافة في لبنان . وتحدث فيها ميشال سليمان وادوار البستاني وميشال عاصي . وثالثها : حول اشكال العلاقات الثقافية وقد تحدث فيها الدكتور سهيل ادريس . ورابعها : عن الشعر والقصة .

ومما يلفت النظر في هذا الحوار الدسم بين الادباء العرب والسوفييت :

● ذلك الالتقاء الفكري حول بعض الاتجاهات العامة في السياسة الدولية ، وبعض المثلقات الفكرية الاساسية . وهو ما عبر عنه البيان الصادر عن الندوة ، في تأكيده « ايمان الاجتهامين بان الادب التقدمي وثيق الصلة بحياة الشعب وبامانيه ومنطلقاته » ولذلك فقد « اولوا اهمية كبيرة لادب النضال الوطني ولدور الادباء في

## الرجوة ..

هذه بعض القضايا العامة التي طرحها اللقاء العربي السوفيتي .. بالإضافة الى مجموعة من القضايا التي عرض لها الجانب اللبناني في الندوة ، والخط العام لما عرضه يؤكد ان هناك عمقا وفهما للعديد من القضايا التي عرضها الكتاب اللبنانيون ..

\*\*\*

اغرب شيء بعد هذا ان عدد حزيران من الآداب ، قد خلا من اشارة الى « حزيران » ! وينبغي ان اعتذر في النهاية عن شيء لا ادري ما هو بالضبط .. ان تقرا عدد حزيران من الآداب وان كتبت عن ابحاثه وانت قاهري . ذلك شيء صعب . اصعب ما يكون . ذلك اننا نحن القاهريين نعيش زمن الضحك السعيد . نضحك بلا ضابط ولا رابط . تفككت اسجة الراس . ارتبكت خلاياه . عيوننا في افئتنا . اعضاؤنا الجنسية في جباهنا . لا نتكلم لكننا نبح . احيانا نموء . وقد نمشي على اربع في احيان اخر ..

اذا طلب منا ان نقرا وان نكتب . من ذا الذي سيكفي . يلطم الخدود . يشق الجيوب . من ذا يستصرخ الموتى وشياطين العيث والجنون ؟ . من ذا سيفعل ذلك اذا تفرغنا نحن لقراءة الابحاث والكتابة عنها؟ .

قلت العدد بين يدي . قلت ان غلافه اصفر . اليس عدد حزيران ؟ . انك هي الرمال التي اكلت اللحم الحي ؟ . انه هو الموت يزحف بشحوبه على اعمارنا الفضة ؟ . لا هذا ولا ذلك . خلا العدد من بحث عن حزيران . هكذا تمضي الفجعة دون ذاك . فوا حسرتا للذين فقدوا اعمارهم في الصحراء . ومضوا دون ان يتفكرهم ذاك . من ذا يذكر موتى في لعبة تافهة . شجار في الطريق . عبث دولي . شيء حدث في زمن الضحك السعيد !

طويت عدد حزيران من « الآداب » في عدد الرابع من حزيران من « الاهرام » القاهرية . فيه محضر نحضير ارواح الشهير . صرخت خلاياي الداخلية . طالبيني ان استحضر ارواح عشرين الفا ممن القتلى اكلتهم رمال سيناء . فيهم اصداق لي معهم ذكريات ومودات . تعالوا . بوحوا بالسر الطوي . من قتلكم ؟ . من اغتال مودانا وذكرنانا وضحكنا ؟ . قولوا من ذا يهلك القدرة على تحليل شيء ؟ وسيط من كلية الملوم . جناح يساري في السلطة . وفريق اول يستعد لمحو الهزيمة . وجناح طائر ملقى في الصحراء . وجناح طائرة . وجناح في مستشفى الامراض العقلية .. اليس الجنون هو المهرب من كل هذا . تكنولوجيا . ايدولوجيا . ماركسية . ديموقراطية . ارز وملوخية . بيروقراطية . تكنوقراطية . معتقلات . سجون . تعذيب . برجوازية . عليا الكلوبانية راقصة لولبية . ارواح . اليكترون . الخامس من حزيران » .

صباح الخير يا قراء اهرام الجمعة !

مضى حزيران دون ذاك .. حتى على صفحات الآداب ! (١٤).

صلاح عيسى

القاهرة

(١٤) تعليق التحرير : اننا نفهم صرخة الكاتب بالنسبة لهزيمة حزيران ونشاركه تمزقه ولوعته على ضحايا ذلك الاسبوع الاسود من تاريخنا الحديث . ولكننا نود ان نشير ان جميع اعداد « الآداب » التي صدرت بعد الهزيمة كانت مكرسة الصفحات للتعبير عن هذه المساة وآثارها في النفوس شعرا وقصة وبحثا . غير ان اسهام المجلة على هذا الصعيد كان يتسم بالإيجابية حين يحاول ان يقدم الانتاج الادبي الذي يعبر عن المقاومة والصمود ويخلف مرحلة اليأس والعيول فيكون له دوره المرصود له في معركة التحرير والبقاء .. ولعل الناقد الكريم لم ينس مقالته النقدية في العدد الرابع ( نيسان - ابريل ) من هذا العام حين اخذ يرصد ، في ابحاث « الآداب » المنشورة في العدد الذي تناوله ، « الظاهرة الحزيرانية » التي لم تكن قاصرة في الواقع ، على ذلك العدد وحده والتي تؤمن ان من رسالتنا تجاوزها الى ما يشدد العزائم ويعمق روح المقاومة ويقضي على بلور الهزيمة والانهازامية ..

دعم الكفاح العادل الذي تخوضه الشعوب العربية ضد الامبريالية العالمية والصهيونية » . وعبر عنه الدكتور ميشال عاصي في تاييده ان « الابداع الثقافي في لبنان ليس حتما وليد اليسارية او التقدمية فحسب ، ولا هو مستحيل على اليد اليمينية بمقدار ما هو قبل كل شيء في اصالة اليد التي تبعد اكانت في هذا الاتجاه ام ذاك » .

● كذلك بلغت النظر فيه ، ان تعرف الابداء السوفيتت على الادب العربي يبدو انه غير كامل ، او يتم من خلال دروب ليست مستقيمة تماما . وقد ازعجني جدا قول كامل ياشين مثلا ، ان « الف ليلة وليلة » . « مفخرة آداب الشعوب العربية » . وعلى الرغم من ان الاسماء التي ذكر كامل ياشين انها معروفة في الاتحاد السوفيتي ، ليست هي كل القائمة المعروفة لهم هناك ، فان التصاقها بالذهن يدل على انها الاسماء التي يعرفها الابداء السوفيتت . والاسماء ليست ممثلة للادب العربي تماما . ثم انها تخلو من الاسماء اللامعة في مجال الكتابة المسرح . والنقد الادبي ، والفكر الاجتماعسي والسياسي .

● وقد اشار سافرونوف في عرضه لبعض اتجاهات الرواية في الاتحاد السوفيتي الى ذلك الاهتمام الواضح بتجربة المقاومة السوفيتية للفرز النازي . وقال « ان بعض النقاد قد وصفوا تراجعنا امام الالمان ومعاناة شعبنا خلال الاحتلال ، اما كيف هجمنا فيما بعد وطرنا النازيين ، واستعدنا اراضيها ، وحطنا الآلة العسكرية النازية ، فهذا لم نصوره بعد كما ينبغي » وفسر سافرونوف ذلك بان « الالام التي عاناها شعبنا كانت عميقة وفاجعة الى درجة انه لا يمكن الا التعبير عنها لما فيها من تراجيديا مؤثرة ، وبطولات اشبهه بالمعجزات » .

ويبدو ان المسالة بالنسبة لنا ستكون كذلك ، وعلى الرغم اننا لم نخض بعد معركة تحرير وانتصار ، فان هزيمة حزيران الفاجسة ستظل تلهم الاجيال الجديدة من الابداء والفنانين ، اكثر مما سنلهم المعركة . ليس هذا فقط بل ان موقف التفرج الذي يقفه معظم ادبائنا وفنانينا من المعركة سينعكس بالطبع على ما شاركوا فيه فقط . نحن شاركنا في الهزيمة ، ولن نشارك في النصر . قال سافرونوف « انا كنت جنديا .. واشتركت في معارك القفقاس » . من يستطيع من ادبائنا وشعرائنا ان يزعم ذلك لنفسه فيما بعد . « انا اشتركت في احداث الهزيمة .. لكنني لم اصنع النصر » ! يبدو ان هذا هو كل ما يستطيع جيلنا ان يزعمه لنفسه .

● وقد اضطر الابداء السوفيتت الى اعادة طرح قضية حريسة الاديبي والتزامه من خلال القوالب التقليدية المعروفة ولم يضيفوا جديدا لذلك . فقد اشار سافرونوف الى ان « بعض المفترين والساذجين في الغرب ، يقولون طالما ان الاقتصاد عندكم مبرمج ، فان الادب كذلك مبرمج ايضا .. هذه تفاهة » . اما سليمانوف فقد اعترف بسان الاتحاد السوفيتي ليس فيه « حرية كلمة » « لدعاة الحرب والمعصية والصهيونية والعداء للشبيوعية ، هذا النوع من الحرية نحاربها وهذه المحاربة نراها عدلا . وان كل من يقف ضد حزبنا وضد صداقتنا مع الشعوب فلا يحق له الانتماء الى اتحاد الكتاب . فنحن لا نسمح ابدا بتسميم ارواح اطفالنا » . وقد اشار سليمانوف في هذا الصدد الى تأثير المناخ البرجوازي العالمي على بعض الكتاب السوفيتت اذ يدفعهم الى الرغبة في « ان يصبحوا معروفين بسرعة في الخارج ، فيقعون في شباك الدعاية القريبة التي تستخدمهم لمصالحها ، والكاتب الذي يقع في هذه الشباك يدفع الثمن من سمعته لانه يتحول الى سلاح رخيص بيد الاعداء » .

بيد ان طرح القضية بهذا الشكل - رغم صحة خطوطه العامة - يتضمن نوعا من الاستسلام لافكار سهله ، اطارها العام صحيح ، لكن تفصيلاتها ليست عميقة كما ينبغي . وهناك حلقة مفقودة باستمرار عند طرح هذه النظرية التي اصبحت معروفة جدا ، وبرغم سهولتها فهي ايضا غير مفهومة ، لانها لا تحقق باستمرار اهدافها

## بقلم شوقي خميس

ما يحدث في ادبنا القصصي الآن شبيه بما يحدث للإنسان الذي يتخطى مرحلة الطفولة ، مرحلة التحديد والنماذج الثابتة والقياس المقدسة . فما نلاحظه على الجديد الجيد في ادبنا المعاصر ، ومنه قصص العدد الماضي من « الآداب » ، انه لا يقدم حلولاً وإنما بحثاً عن الحلول ، لا يجسد تفسيراً وإنما دعوة إلى المشاركة ، لا يسيء ولا يهجم ولا يسرد ولا يصف ، وإنما يكتفي بحمل الحلم بالبناء ، وغبار التهدم ، والحنين المثبت ببراعة الإلماس التي لا تستعاد ، والطموح الجامع لاسر التعريف بما هو دائم الفرار والذوبان في فوضى الحياة والأشياء .

ببساطة ، لم يعد يؤمن القصاص الناصح الآن - ان كان ممن يؤمنون اصلاً بجردى الحوار بين البشر - لم يعد يؤمن بقدرة الفن على تغيير واقع الحياة والإنسان . هذا الإنسان المعرض خصوصاً في بلادنا لاشد المؤثرات تناقصاً . ابتداءً من الفكر الاسطوري القديم الذي صبغ الكثير من عاداتنا على نحو بيتن او خفي ، حتى تلك القيم الفاسدة التي تشيعها اغاني الاعلانات في الراديو والتليفزيون . الخ . لم يعد يؤمن الفنان بقدرة الفن على تغيير انسان العصر الذي يتحكم في اقباله على الاشياء قانون أقل الجهود فيطلب المتعسفة والمعرفة باقل التكاليف ولا يبقى الا حيز شديد الضيق لكل فن او ادب يتطلب استيعابه جهداً من المتلقين . وفي نطاق هذه الصعوبات التي تمثل نسيج الوجود المصري نزل الفنان من علياء حلمه الذهبي بتفسير وتغيير العالم وتمثل امامه حلماً آخر ، ربما أصغر حجماً ، ولكنه بالتأكيد أكثر تحديداً وفاعلية ، وصار مثال فنه الجديد توسيع نطاق التجربة الانسانية وخلق الجو الملائم لاحداث التغييرات التي يشترك العلم الحديث والسياسة والاقتصاد . الخ في طلبها وخلق الجو الملائم او العميق لتحقيقها .

ولقد اصبح على كاتب القصة الجديدة ان يبحث عن طرق جديدة للنفاز بصوته الجديد الى وجدان الانسان في مثل هذا الواقع المعقد بعد ان اثبتت الاشكال التقليدية عن القصة عدم قدرتها غالباً على الصمود في المنافسة على ارضاء ربان المتعة الرخيصة اللاتي يتحكمن في ذوق الانسان المعاصر وقد احتلن الجدران وواجهات العرض والشاشات الصغيرة والكبيرة والآثير واغلفة الجلات . لجا بعض كتاب القصة الجديدة الى الشعر يستخدمون لفته الخاصة وقدرته على التركيز واستخلاص العنصر الجوهرى من فوضى العالم ليسهل سبيل النفاز الى وجدان الانسان المتعجل الذى تجذبه السرعة وتشده القرابة كما فعل حيدر حيدر في قصته « اغنية حزينه لرجل كان حيا » . ولجأ آخرون الى مزج الشعر بالسخرية في مواجهتهم لعالمنا المتناقض الممزق فخلقوا بناءً جديداً للصورة القصصية تهدم شكل الاشياء المألوف والمقبول لدى الناس لالتفهم له كما فعل « نصار عبدالله » في قصته المشورة في عدد « الآداب » الماضى حيث تبسدت لئسا صورة « الانوبيس » مختلفة تماماً عما نالف وان ارتبطت على نحو عميق بما نشعر به ويحرقنا ليفسر بعد قليل مخلفاً في نفوسنا هدوءاً وعرياً وعطشاً وبأساً أشبه بهدوء وعري وعطش وبأس الصحاري . وقد يلجأ القصاص مثل « توفيق زياد » الى الحدود القصوى لشاعر الانسان حيث تختلط الحقائق بما يشبه الجنون ليكشف لنا من خلال ذلك حاجات الانسان البسيطة الاميلة بعد ان شسوه الجنون اللانسانى والظلمة عين البشر ففقدت قدرتها على الابصار السليم . والى جوار هذه الطرق الجديدة يحقق الشكل القديم التقليدي في كتابه القصة القصيرة انتصارات فنية بين حين وآخر يؤكد انه لم يفقد قدرته

نهائياً على التأثير والمطاء ، يثبت ذلك على المستوى النظري ذبوع العديد من قصص عظماء الكتاب التقليديين لدى الناس كذعمال فنية ملهمة ومؤثرة وليست بوصفها وثائق تاريخية في الفن مما لا يهم به سوى المتخصصين ، كما تثبت الكثير من اعمال القصاصين الجدد امكانية الشكل التقليدي على التواجد الى جوار الاشكال المستحدثة كما سوف نرى في قصة « سليمان فياض » التي تتميز رغم شكلها القديم بجدة الموضوع واصالة التناول .

خرج النضج الذي وصفناه بالكتاب المبدعين من مرحلة الاستقرار الطفولي الى مرحلة البحث والمشاركة في مواجهة الحياة بتواضع الحكماء لا بفرور الصغار واحلامهم الذهبية المراهقة . وهذا النضج في الابداع يتطلب نضجاً موازياً في النقد الادبي والاعلانية تناقضا هزلياً عقيماً - وهذا ما يحدث في الغالب حتى الآن - بين نقاد يتصورون بطفولة انهم يمتلكون الحقيقة وبطلون الابداء بغير ما يستطيع ان يقدم الادب وبين كتاب جادين يقدمون بتواضع كل ما يمكن تقديمه وهو حتى الآن ، والى اي مستقبل يمكننا تخيله ، نسبي بالضرورة . فلننظر في قصص العدد الماضي وسنجدها تقدم الكثير اذا لم نزنها بمعيار الفن المطلق والخالد ونحن لا نعلم من الذي يضمن اطلاقه وخلوده:

« اغنية حزينه لرجل كان حيا » لحيدر حيدر

في رحلة خرافية كرحلة الاخضر ، لا تظل الاحداث والكلمات نفسها ، وانما يكتسب بعداً رامزياً بدمعها بحياة اكثر انساعاً وعمقاً . ويعلو السرد على وظيفته العادية في الاخبار والتأثير ، ويتحول الى ما يشبه « المونولوج » الشعري بحكي الكاتب .

.. حتى الظهر لم يلق الاخضر انرا لعدو ، كذلك لم يلق انرا للثوار . كانت البراري والغابات .. يرين عليها صمت . كان يرندن يجلس مطمئناً فوق صخرة .. لم يكن يحمل بندقية .. كان يدندن اغنية شعبية عامرة بالحب والحزن - والحطابون .. هم ايضا بلا بنادق - سال الاخضر الراعي عن اسم الجبال وهذه البلاد فابنسم الراعي وهو يخبره وسأله : من اي البلاد جاء الاخ ؟ قال الاخضر : غريب .

غريب ؟ تتفجر مأساة اغتراب الاخضر عن عالمه منذ نطقه بهذه الكلمة فهما كان اختفاء الاعداء مدهشاً له فانه لا يدشمه بغير اختفاء الثوار من الوطن . ذلك هو الشيء الذي صيره غريباً في وطنه . لم يتصور الاخضر الا ان يظل الثوار ثواراً حاملين بنادقهم مشعلين نارهم ، متوثبين كالمنور ضد الخديعة والتشويه والصمت الذي يرين على البراري . ضد الجور الذي يقصر حظ الراعي على تلك الاغنية الشعبية العامرة بالحب والحزن . لم يتصور الاخضر ان يحدث العكس فيخفي الثوار فلقد كان من المحاربين الذين قالوا من اجل حرية البلاد وحلموا بنعمى التحرر . انه ينهض من خندقه او قبره مزوداً بناره وحلمه المشتعل ليشهد غربته في المدينة حيث الاب والابن بشميكاني في معركة وحشية بينما يتفرج الناس بالامبالاة ويتراهنون على من يصرع الاخر ولكم ادشمه انه لم يشهد اثر لجنود الاعداء - لقد تحرر الوطن اذن - ولكن أهذه هي المدينة التي حلم بها الثوار والمحاربون والشهداء؟ مدينة المقاهي والحواة والتجار ؟ مدينة تحكمها الهة الجنس وبسول الفتى القوي وتحجب الابنية والمخازن واصوات الزاد الجبال والنييران ويبقى كل ما هو انساني فيها هائماً مشتتاً وحيداً يبكى كروح الاخضر . آسان كل العناء والكفاح والموت من اجل هذه المدينة ؟ مدينة الانسان الوحيد والبكاء والروح المتهورة؟! بهدوء يرفض الاخضر كل هذا الزيف فسيعود وينزل في الحفرة التي نهض منها - وقد اصيبت الان حفرة فحسب ولم تعد خندقاً - ويتمدد على ظهره يتأمل السماء والنجوم المضيئة هناك ثم يغمض عينيه كطفل متعب وسام . وتنتهي قصة حيدر حيدر الرائعة الاشبه بهوتولوج شعري جار ، دفاع عن الثورة وادانة لكل ما يشوه وجهها الخالد .

« الفتوة الواحدة بعد الالف » لسليمان فياض ما أشد التشابه بين قصتي حيدر حيدر وسليمان فياض . كتأهاما تجسد بطلا يحام

بحرية ما ، بصبر غريب عن عالمه ويعود في الختام وحيدا مهزوما تكشف لنا غربته وهزيمته صورة الاختلال الذي يواجهه .

وكما يدرك « الأخضر » بطل « حيدر حيدر » صورة غربته في تلك « الروح - التي - تتوه وحيدة في هذا العالم » يدرك « احسن » بطل « سليمان فياض » عدم جموى المزيد من الاحتمال ويقرر ان « عليه ان يرحل في الصباح ، على اول قطار ، قبل ان يراه احد » .

ولكن اذا تشابهت النهايتان فان البداية تختلف والنموذجان يختلفان . وبينما يتجسد في « الأخضر » شوق الآف من الرجال حاربوا معا واستشهدوا معا ، يبدأ حسن خطاه منفردا . هكذا تبدأ القصة : نزل من القطار منفردا - فاذا كان الحلم الذي خطاه هو نفس الحلم المنيب في صدور آخرين الا ان عوامل تفرده التي تمزله عنهم ، تتأكد وتتمو طوال الوقت الذي يحارب فيه من اجل تحقيق الهدف المشترك . وقد تتحول تلك العوامل احيانا الى ميزات تدعم كفاحه مثل امتلاكه على نحو ما للدار التي تصلح لان تكون مقرا للمشروع . ومثل انتسابه الى اسرة ذات شان في القرية قادرة على حمايته من انتقام الاعداء . وهي نفس العوامل التي تجعل منه بطلا فرديا بالاضافة الى انزاله السنين الطوال عن الحياة في قريته .

ويتصاعد الصراع في نفس « احسن » على نحو اعنف كثيرا مما يتم به في الخارج شأن البرجوازي الصغير الذي يرفقه غالبا حينما يتعرض لموقف ثوري ذلك التناقض الحاد بين وضعه وعلاقاته الاجتماعية وبين حلمه بالعدل للجميع . ولكن « احسن » ذلك البطل المحوري لقصة « سليمان فياض » ليس مجرد برجوازي صغير يخضع في استسلام منطقي لضرورات وضعه الاجتماعي وانما هو بطل برجوازي متهمد حالم يمي على نحو حاد التناقضات بين جذور وضعه الاجتماعي ومثاليات الرسالة التي تحركه . وهذا الوعي هو ما يرتفع بقيمة بطلنا من مستوى الاستسلام للواقع الى مستوى التمرد ، وهو ما يرتفع بالقصة ايضا من مستوى تمجيد البطولة البرجوازية التي سرعان ما تتوقف عن الفاعلية عندما تتعرض مصالحتها لخطر جدي الى مستوى النقد لكل ما يحد من انسانية الانسان . وليس هذا فحسب ما تتكشف عنه قصة « الفزوة الواحدة بعد الالف » ، فما اشد خصوبة الوجه الآخر ، ذلك العالم الذي غراه احسن او الذي لم ينجح في غزوه ، ذلك العالم الساكن في ظاهره بينما يموج داخله بصراع لا يهدأ بين القوى التي تحكم بالظلام والقوى التي تفر في الظلام والقوى التي تبحث في الظلام عن صباحها والقوى التي تكتفي بالحلم والقوى التي تياس عند اول فشل .

لم تنتصر الفزوة الواحدة بعد الالف ، لم يحقق « احسن » انتصارا وهميا وعاد خائبا كما يجب ان يعود . ولكن ضوء الحقيقة كضوء النجوم لا يمكن ادخاله التسميرة ولا تمكن التجارة ، وانما يمتلكه الانسان بمجرد رؤيته الى الابد ولقد عاد « احسن » بعد ان اشعل في عالم ماساته شعلة قوية من ذلك الضوء .

« عيون البقرة الميتة » لتوفيق زياد

مفاجاتان تسعدان قارئ قصة « توفيق زياد » . اولهما ان نعرفه قصاصا ناضجا متميزا بعد ان عرفناه شاعرا ممتازا . وثانيهما طبيعته القصصية الساخرة القريبة من القلوب والتي لونا قل الاقبال عليه بعد ان نفتشت مرثي الارض الغراب كرد فعل ساذج لما الم بامتسا من كوارث . وكما لم يتسلم « توفيق زياد » الشاعر لتواضع الاشفاق البكائي على الذات وظل صوته الشاعر قويا هادرا بمجد المزيد من النضال ويدعو له ، يخرج علينا توفيق زياد القصاص ساخرا على لسان بطله الفلاح البسيط المنشبت بالارض ، ساخرا من كل احلامنا الكبيرة والصغيرة عندما يضع عذاب ذلك الفلاح وجنونه واحتماله في مركز الكون ، في مكانه الطبيعي ، فهؤلاء الكادحون البسطاء مثل ( ابو سعده ) الذي كفر عندما لم يتحقق وعد السماء والذي يتحمل

الكارثة رغم كل شيء ولا يفقد عقله في النهاية ، هؤلاء الكادحون البسطاء مثل الشيخ ( سعيد القبلاوي ) الذي رمى نفسه امام ( تركتورات ) الفاصيين مدافعا عن الارض التي لا يملك شبرا منها - هؤلاء الناس البسطاء لهم وسائلهم لتحدي الكوارث ، تكشف لنا قصة توفيق زياد منها عن ذلك النبع القديم ، نبع السخرية النقية الخطوة المتحدية الهائلة بكل شيء الا عذاب الانسان . فعندما يدرك الشيخ القبلاوي حقيقة عذاب ( ابو سعده ) يصمت ويأخذ في معاوته في هدوء ورقة .

« تأملات عادية حول حادث يومي » لنصار عبدالله من قصة « نصار عبدالله » نلتقي بنوع اخر من السخرية تابع من الذهن ، فينما كانت السخرية في قصة « توفيق زياد » وسيلة يتحدى بها الانسان ما يقهره ويعذبه تصيح في قصتنا هذه وسيلة فنية للكشف عن اختلال الواقع الذي يقهر الانسان بحكم التعود .

يعمد نصار عبدالله « الى هدم الصورة المرئية للواقع واعادة بنائها على نحو يكشف زيف ما للفناه ويدفعنا الى اعادة التفكير فيه . فحادث « الاتوبيس » الذي تناوله قصته يكتسب طابعا رمزيا ينحطى به دلالة الخاصة وينفتح على عالم اكبر من عالم الاتوبيس والحادث ، ويتم ذلك منذ ان يبدأ القصص في السرد واصفا لحظات ما قبل الحادث حيث لا يمكن تفسير الصور التي ترد في السرد مثل ( انخاع ذراع الراكب بين ايديهم . فالتقوا به على الارض ) الا بوصفها تجسيدا لرؤية الكاتب الخاصة للعلاقة بين ذلك الركب والعايرين الذين انتزعوا ذراعه والقوه على الارض .

وينمو الرمز ويصل الى قمة نضجه في تلك الاجراءات المعقدة والمؤلمة والمضحكة التي تقوم بها فئات المسئولين المتعددة لمعالجة الحادث بينما يكاد يختفي صوت الانسان المفقور في الضجيج . ذلك الانسان الشبيه « باتوبيس » يمكن ان يقضي عليه خطأ صغير غير مقصود .

شوقي خميس

القاهرة

## دراسات ادبية

من منشورات دار الآداب

٤٠٠	د . طه حسين	مذكرات طه حسين
٢٥٠	د. طه حسين	من ادبنا المعاصر
٢٠٠	ر . م. البيريس	سائرير والوجودية
٢٥٠	خليل هندواي	تجديد رسالة الفران
٦٥٠	فرانسييس جانسون	سيمون دوبوفوار
٦٠٠	ا . ا . هوتشز	بابا همنفواي
٤٠٠	رئيف خوري	الادب المسؤول
٣٥٠	رجاء النقاش	اصوات غاضبة في الادب والنقد
٢٥٠	صلاح عبدالصبور	وتبقى الكلمة ( دراسات نقدية )
٢٥٠	د . زكي مبارك	بين آدم وحواء
٢٥٠	د . جلال الخياط	التكسب بالشعر
		محمود احمد السيد
٤٠٠	د. علي جواد الطاهر	رائد القصة الحديثة في العراق
٥٠٠	د . زكريا ابراهيم	مشكلة الحب
٢٥٠	سامي خشبة	شخصيات من ادب المقاومة